Vol 09 / Issue 38 / December 2025
ISSN 2568-6739 p24-55

Journal of social sciences
Democratic Arabic Center For Strategic, Political & Economic Studies, Germany-Berlin

Mohammed al-Bashir Brahimi's perception of building blocks Young Algerian Muslim Personality

Metrouche Sofiane *
Research laboratory in language education, Teacher Education College of Setif Messaoud Zeghar-Algeria
s.metrouche@ens-setif.dz
https://orcid.org/0000-0001-7031-517X
https://doi.org/10.63939/JSS.2025-Vol9.N38.24-55

Received: 22/11/2025, **Accepted**: 27/12/2025, **Published:** 28/12/2025

Abstract: From this paper we aim to discover the most important personal ingredients that a young Algerian Muslim must have according to Brahimi's perception of those ingredients, based on the following problems:
- What is Mohamed al-Bashir Brahimi's perception of the building blocks of the character of a young Algerian Muslim?
The importance of the research is to analyse a fraction of Mohamed al-Bashir Brahimi's reformist ideas, which he put forward in a special period, namely the period of French occupation of Algeria.
In the Brahimi conception analysis, the paper focused on two key elements, the first of which was its attention Young Muslims in general and Algerian youth in particular.
One of the most prominent findings of the research is that Brahimi's perception of the character of the young Algerian Muslim youth is based on a range of major axes: religion, homeland, language and history, morality and science.
Keywords: Conceptualization; Brahimi; Validators; Young Algerians.

*Corresponding author

المجلد:09/العدد 38/ديسمبر 2025
ISSN 2568-6739 ص24-55

بناء شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم تصوّر(محمّد البشير الإبراهيمي) لمقوّمات

سفيان مطروش*
مخبر البحث في تعليميّة اللّغات، المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار، سطيف –الجزائر
s.metrouche@ens-setif.dz
https://orcid.org/0000-0001-7031-517X
https://doi.org/10.63939/JSS.2025-Vol9.N38.24-55

تاريخ الاستلام: **2024**/11/22 - تاريخ القبول: 2025/12/27 - تاريخ النشر: **2025**/12/28

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى اكتشاف أهمّ المقوّمات الشّخصيّة التي لابدّ أن يتحلّى بها الشّاب الجزائري المسلم وفقَ تصوّر (الإبراهيمي) لتلك المقوّمات، انطلاقًا من الإشكاليّة التّالية:

–ما تصوّر (محمّد البشير الإبراهيمي) لمقوّمات بناء شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم؟

وتكمن أهمّية البحث، في تحليل جزء بسيط من أفكار (محمّد البشير الإبراهيمي) الإصلاحيّة طرحها بدوره في فترة خاصّة، ألا وهي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر

وقد ركّزت الورقة البحثيّة في تحليل تصوّر (الإبراهيمي) على عنصرين أساسيّين، أوّلهما اهتمامه بالشّبّان المسلمين عموما، وثانيهما اهتمامه بالشّبّان الجزائريّين المسلمين خصوصا.

ومن أبرز النّتاج التي توصلّ إليها البحث، هي أنّ تصوّر (الإبراهيمي) لمقوّمات شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم، يرتكز في أساسه على مجموعة من المحاور الكبرى، هي: الدّين، والوطن، واللّغة والتّاريخ، والأخلاق، والعلم.

الكلمات المفتاحية: تصوّر ؛ الإبراهيمي؛ مقوّمات؛ شباب جزائري.

*المؤلف المرسل

01-مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، محمّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطّاهرين، وبعد؛

يعبِّر عمر الشّباب عن القوّة والتّطلّع إلى الأمام، وهو عزيمة لا يُستغنَى عنها؛ لأنّه الرّافعة الرّئيسة لصناعة التّطوّر في المجتمع وعبارة عن قوّة تقاوم الظّلم وتدحر العدوان المسلَّط على أُمَّتها، وهو أيضًا تجسيد لحركة الحاضر بمستوى رفيع من الحيويّة لها اتّصال بما خلّفه السّلف من جهة، ومتطلّعة إلى المستقبَل بشيء من الأمل والتّفاؤل من جهة أخرى. (السّحمراني، 2005م، ص337).

ويُعَدُّ (محمّد البشير الإبراهيمي)، من أبرز أعلام الدّعوة الإصلاحيّة في الجزائر الذين أَولَوا عناية خاصّة بفئة الشّبان الجزائريّين المسلمين، سواء بتعليمهم أو بتوجيههم من خلال خطابات متنوّعة بتنوّع السّياقات التّواصليّة التي جمعته بهم، بما أنّهم «الرّأسمال البشري صاحب الدّور المتميّز في الأمّة والشّباب يحتاج لإعداد خاص يؤهّلهم باتّجاه ما تنتظره أُمَّتُهم منهم وهذا يتطلّب التّهذيب الأخلاقي والتّزوّد بالعلوم، والتّمرين على دور نافع في مسار الأمَّة الحضاري، والأمَّة التي تهمل شبابها تكون قد فرّطت بالعناصر الأولى بالعناية، وهذا يهدّد مستقبلها». (السّحمراني، 2005م، ص351).

واهتمّ (الإبراهيمي) بالشّبّان الجزائريّين المسلمين؛ لأنّهم يمثّلون أهمّ فئة في المجتمع الجزائري يمكن الاعتماد عليها في نهضته، وبالطّبع يعود اهتمامه هذا إلى عوامل عدّة؛ منها: "الفيزيولوجيّة، والدّرجة التّعليميّة...إلخ"، التي تتميّز بها هذه الفئة- ولاسيّما طبقة النّخبة منهم- عن سواها من فئات المجتمع الجزائري الأخرى.

وهذا ما أدّى إلى اشتغال (الإبراهيمي) بأمور الشّبّان في كثير من الجوانب؛ إذ كان «يرى فيهم أمل الأمّة ومنقذها ممّا تعيش فيه من أوضاع مزرية في ظلّ الاحتلال الفرنسي الغاشم، الذي كان يحارب أوّل من يحارب (الشّباب) بالقهر والدّحر، وبالإغراء والإغواء والتّنديد والتّهديد والحرمان من كلّ ما يبني فيه شخصيّته، فكان الإبراهيمي بالمرصاد لهذه الأعمال التّدميريّة الاستنزافيّة لمستقبل الأمّة الجزائريّة باستهداف شبابها»(بوحجّام، 2017م، ص07-08).

وبناءً عليه، تنطلق ورقتنا البحثيّة من الإشكاليّة التّالية:

-ما تصوّر (محمّد البشير الإبراهيمي) لمقوّمات بناء شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم؟

وتكمن أهمّية البحث، في قراءة جزء بسيط من أفكار (محمّد البشير الإبراهيمي) الإصلاحيّة، طرحها بدوره في فترة خاصّة، ألا وهي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وأمّا هدف البحث، هو اكتشاف أهمّ المقوّمات الشّخصيّة التي لابدّ أن يتحلّى بها الشّاب الجزائري المسلم وفقَ تصوّر (الإبراهيمي) لتلك المقوّمات، كما اعتمد البحث على المنهجين الاستقرائي عند جمع بعض الخطابات التي وجّهها (الإبراهيمي) لفئة الشّبّان، والوصفي التّحليلي عند قراءة تلك الخطابات.

وتمثّلت خطّة البحث في العناصر التّالية:

-مقدّمة:

-اهتمام (الإبراهيمي) بالشّبّان المسلمين.

-اهتمام (الإبراهيمي) بالشّبّان الجزائريّين المسلمين.

-خاتمة.

ومن الدّراسات السّابقة لهذه الورقة البحثيّة؛ مقال لأسعد السّحمراني ، (مايو2005م)، بعنوان "الشّباب في فكر الإمام محمّد البشير الإبراهيمي"، ورسالة سمير أبيش، (2015م)، بعنوان "مقوّمات الشّخصيّة الوطنيّة والمشروع التّربوي عند جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين1931-1956"، وكتاب ناصر بوحجّام ،(2017م)، بعنوان "الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي والشّباب."

02-اهتمام (الإبراهيمي) بالشّبّان المسلمين:

قدَّم (الإبراهيمي) – في كثير من السّياقات التّواصليّة – مفهومه الخاص لفئة الشّباب بشكل عام والمسلم منه بشكل خاص وتكشف لنا الفقرة الخطابيّة التّالية جزءًا من المفهوم الأوّل عند قوله:

"وأقول: الشّباب، ولست أعني بهذا اللّفظ معناه المصدري في عرف اللّغة، ولا ذلك الطّور الثّالث من عمر هذا الصّنف البشري في مقاييس الأعمار، وإنّما أعني بهذا اللّفظ طائفة من الأنَاسي انتهوا في الحياة إلى ذلك الطّور الثّالث بعد الطفولة واليفاعة، فجمعتهم اللّغة على شبيبة وشبَان، ووصفتهم بالمعنى في نحو لطيف من أنحائها فقالت: شباب وشبيبة". (الإبراهيمي، 1997م، ج04، ص267).

ولهذا طالما ركّز على هذه الفئة من منظور الدَّور المنوط بها تجاه أُمَّتها، وهو ما عبَّر عنه في خطابه التّوجيهي الآتي :

"أوجّه طلائع الحديث في هذه اللّيلة إلى الشّباب الذين هم السَاف الجديد في بناء الأمّة، والدّم المجدِّد لحياتها والامتداد الطّبيعي لتاريخها، وهم الحلقات المحقّقة لمعنى الخلود الذي

ينشده كلّ حيّ عاقل ويتمنّاه حتّى إذا فاته في نفسه التمسه في نسله(الإبراهيمي، 1997م، ج04، ص267).

نلحظ أنّ اهتمام (الإبراهيمي) بالشّبّان، نابع من قناعته التّامّة بما تمتلكه هذه الفئة من مقوّمات تجسّد الركيزة الأساسيّة لبناء أيّة أمّة، إلى درجة أنّه وصف الشّباب من حيث علاقته بأمّته بأنّه الأساس الذي تُبنَى عليه، عند قوله:"هم الساف الجديد في بناء الأمّة"، إلى أن شبَّه الشّباب بالدّم الذي تحتاجه كل نفس في هذه الحياة بقوله:"والدّم المجدِّد لحياتها"، ثمّ أقرَّ بأنّ الشّباب هم النّواة التي تحقّق للأمَّة استمراريّتها، عندما عبَّر عن ذلك بقوله:"...والامتداد الطّبيعي لتاريخها."...

وعلى غرار أنّ الشّبّان عند (الإبراهيمي)، هم الدّم المجدّد والضّامن لحياة الأمُم والنّاقل لتاريخها وخصائصها الوراثيّة، هم أيضًا –حسب رأيه– المصحّحون لأخطاء أسلافهم وما تركوه من عقائد وعادات منحرفة؛ أي إنّهم الفئة الوحيدة المخوّلة بذلك والتي لا تعتمد الأمُم إلّا عليها، وبالطّبع هم متباينون من حيث الدّور المنوط بهم تجاه أمّتهم، كُلٌّ وفق مستواه التّعليمي والثّقافي إذ تمثّل فئة النّخبة الرّكن الأهم.

وفي بعض الأحيان قد يدافع (الإبراهيمي) عن فئة الشّبّان، مثل قوله:

"إنّ الأمّة الرّشيدة هي التي تحرس شبّانها في طور الشّباب من الآفات التي تصاحب هذا الطّور فتحافظ على أفكارهم أن تزيغ لأنّ هذا الطّور طور له ما بعده من زيغ أو استقامة، وتحافظ على أهوائهم أن تتّجه اتّجاهًا غير محمود، وتحافظ على عقولهم أن تعلق بها الخيالات، فتنشأ عليها ويعسر أو يتعذَّر رجوعهم عنها، وتحافظ على ميولهم وعواطفهم، أن تطغى عليها الغرائز الحيوانيّة لأنّ هذا الطّور هو طور تنبّهها ويقظتها" (الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص294).

دافع (الإبراهيمي) عن الشّبّان انطلاقًا من تفهّمه للمرحلة العمريّة الحرجة التي يمرّون بها؛ أي من حيث خطورة الآفات الاجتماعيّة المحيطة بهم، وبناءً على الخصائص الفيزيولوجيّة التي قد تجرّهم إلى الشّهوات المحرّمة جرًّا، ممّا ينعكس سلبًا على حياتهم الشّخصيّة أوّلًا، ثم يؤدّي بالضّرر على أمّتهم ثانيًا وهذا ما جعله يصف الأمّة التي تحرص على شبابها من أن يقع في هذه الأمور، بأنّها "الأمّة الرّشيدة" بل تعدَّى إلى أكثر من ذلك بقوله: "الأمّة التي لا تكرم شبابها بالعلم والتّثقيف مضيّعة لرأس مالها"(الإبراهيمي، 1997م، ج02، ص430).

ونفهم من هذا أنّه «يريد شبابًا من شكل خاص أو تركيبة خاصّة به، يمكن أن تحافظ الأمّة على مقوّماتها وإرثها الحضاري وتستطيع أن تثبت وجودها في ميدان الصّراع على انتزاع مكان في الوجود مع الأقوياء. ويمكن أن تفرض نفسها في حلبة الصّراع على البقاء والحياة بعزّة وكرامة، الذين يقومون على تصحيح المسار بتنقية التّاريخ من الشّوائب، وردّ ما هو غير صحيح في تاريخها، الذين يعملون على ربط الماضي بالحاضر في مسيرة أمّتهم وينتقلون إلى استشراف مستقبلها بما يضمن لها الحياة التي تتطلّب التّطوير والإصلاح والتّغيير، بما يتناسب مع قوّة الشّخصيّة الإسلاميّة»(بوحجّام، 2017م، ص.ص33-34).

وقد يتوسّع (الإبراهيمي) في ذكر الشّبهات المحيطة بفئة الشّبّان، والإغراءات المعروضة عليهم وعلاقتها بالمقوّمات التي يمتلكونها، مثلما يكشف عنه خطابه التّالي:

"جمعتهم سُنَّة التّكامل على القوّة والفتوّة، وجمعهم اتّحاد السِّن أو تقاربه على التّعاطف والأخوَة وجمعهم الدِّين على التّكاليف والواجبات، ووقفت بهم الحياة على جددها، تعرض عليهم السّعادة في صور ملتبسة بالشّقاء والشّقاء في صور ملتبسة بالسّعادة واكتنفتهم

الملائكة والشّياطين، أولئك يدعونهم إلى الجنّة محفوفة بالمكاره مسوقة بالصّبر والألم، وهؤلاء يدعونهم إلى النّار ملفوفة بالشّهوات؛ مسوّقة بالإغراء والتّزويق والتّزيين، ووقفنا نحن معاشر الآباء من ورائهم نتمنَّى لهم ونتجنَّى عليهم، ونقترف في حقّهم ولا نعترف بظلمنا إيّاهم، ونرخِي في تربيتهم أو نشدِّد، ولكنّنا لا نقارب ولا نسدِّد ونعطيهم من أفعالنا ما نمنعهم منه بأقوالنا: ننهاهم عن الكذب ونكذب أمامهم الكذب الحريت وننهاهم عن الرّذائل جملة وتفصيلًا ثم نخالفهم إلى ما ننهاهم عنه، فيأخذون الرّذيلة عنَّا بالقدوة والتّأسِّي ويحتقروننا لأنّنا قبّحنا لهم الكذب بالقول، ثم أشهدناهم بالعمل على أنّنا كاذبون" (الإبراهيمي، 1997م، ج04، ص267-268).

لقد بدأ (الإبراهيمي) دفاعه عن الشّبّان، بسرد مقوّماتهم والتّكاليف الشّرعيّة التي كلّفوا بها، ثم عرض مجموعة من الشّهوات والمغريات التي يمكن أن يتعرّضوا لها يوميًّا في خضمّ هذه الحياة، إلى أن وصل به الأمر إلى اتّهام نفسه واتّهام كل أَبٍ مقصّر في حقّ أبنائه الشّباب؛ بل إلى حدٍّ من التّقصير وصفه (الإبراهيمي) بالتّجنِّي والظّلم، وهو ما عبّر عنه بقوله: "ووقفنا نحن معاشر الآباء من ورائهم نتمنَّى لهم ونتجنَّى عليهم ونقترف في حقّهم، ولا نعترف بظلمنا إيّاهم...إلخ."

وأحيانًا ما يوجّه (الإبراهيمي) وصاياه إلى فئة الشّبّان مباشرة، بدافع النّصيحة والتّحفيز وحبّ المنفعة لهم، مثلما تجسّد في ندائه التّالي:

"يا شباب الإسلام، وصيّتي إليكم أن تتّصلوا بالله تديّنا وبنبيّكم اتّباعًا، وبالإسلام عملًا وبتاريخ أجدادكم اطّلاعًا وبآداب دينكم تخلّقًا وبآداب لغتكم استعمالًا، وبإخوانكم في الإسلام ولداتكم في الشّبيبة اعتناءً واهتمامًا، فإن فعلتم حزتم من الحياة الحظّ الجليل، ومن

ثواب الله الأجر الجزيل وفاءت عليكم الدّنيا بظلّها الظّليل"(الإبراهيمي، 1997م، ج04، ص121).

أو كما نجده في هذا النّداء:

"أيّها الشّباب: إنّ الشّباب نسبٌ بينكم ورحم وجامعة، ولا مؤثّر في الشّباب إلّا الشّباب، فليكن بعضكم لبعض إمامًا، وليُعلِّم المهتَدون الضُّلّال.

دِينكم – أيّها الشّباب – لا يفتنَّكم عنه ناعق بإلحاد، ولا نَاعٍ بتنقّص.

وربّكم – أيّها الشّباب– لا يقطعنّكم عنه خنّاس من الجِنَّة والنّاس.

وكتاب ربّكم – أيّها الشّباب– هو البرهان والنّور، وهو الفَلَج والظّهور، وهو الحُجَّة البالغة والآية الدّامغة فلا يُزهِّدنَّكم فيه زنديق يؤوّل وجاهل يعطّل ومستشرق خبيث الدّخلة يتّخذه عضين؛ ليفتن الغافلين ويلبِّس على المستَضعَفين" (الإبراهيمي، 1997م، ج04، ص270). [كذَا في الأصل]؛ يقصد "ورحم جامعة."

وجّه (الإبراهيمي) وصاياه بصفة مباشرة إلى الشّباب، مركّزا على أهم المبادئ والأسس التي لابدَّ لهم أن يتمسّكوا بها مذيّلا إيّاها بجملة من المحفّزات والإغراءات التي يمكن تحصليها إن تقيّد الشّاب المسلم بها كما عبّر عن وصاياه بصياغة لغويّة مسجوعة، مثل قوله: "...فإن فعلتم حزتم من الحياة الحظّ الجليل، ومن ثواب الله الأجر الجزيل، وفاءت عليكم الدّنيا بظلّها الظّليل" أو مقتَبسَة من النّص القرآني، عند قوله:"...ومستشرق خبيث الدّخلة يتّخذه عضين؛ ليفتن الغافلين ويلبِّس على المستَضعَفين"

فهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، [الحجر:91.]

وقد يخصّص (الإبراهيمي) وصيّته في صيغة عتاب على الشّباب المتعلّم دون سواهم، انطلاقًا من خبرته في طلب العلم وممارسته لمهنة التّعليم، وبدافع حبّ المنفعة لهذا النّوع من الشّباب المسلم، كما جاء في قوله الآتي:

"...إنّ شبابنا المتعلّم كسول عن المطالعة، والمطالعة نصف العلم أو ثلثاه، فأوصيكم يا شباب الخير بإدمان المطالعة والإكباب عليها، ولتكُن مطالعتكم بانتظام حرصًا على الوقت أن يضيع في غير طائل وإذا كنتم تريدون الكمال هذه إحدى سُبُل الكمال"(الإبراهيمي، 1997م، ج01، ص154). [كذَا في الأصل]؛ يقصد "الإنكباب."

جاءت وصيّة (الإبراهيمي) في صيغة عتاب ولوم للشّباب الذي يُحسَبُ على طلبة العلم، وهو لا يَعِي فائدة المطالعة وأثرها على التّحصيل العلمي؛ ولهذا ضمّنها صيغة مبالغة "كَسُولْ" على وزن "فَعُولْ" لينقل بها وصيّته من عتاب أولئك الشّباب إلى إقناعهم بقيمة المطالعة، وما يجنيه طالب العلم من خير إن هو أدمَنَ عليها، بعد أن ناداهم بـ"يا شباب الخير."

وفي بعض السّياقات التّواصليّة، يمكن أن يعدل (الإبراهيمي) عن توجيه وصاياه إلى الشّباب بخطاب مباشر ويعوّضه بخطاب تلميحي في صيغة دعاء، مثلما استعمله في هذا الخطاب:

"حيَّاكم الله وأحياكم وأبقاكم للإسلام تذودون عن حياضه، وترودون في رياضه، وللغة العرب تصلون أسبابها وتردُون عليها نضرتها وشبابها، ولمواطن الإسلام تصونون عرضها وتردّون قرضها وتحفظون سماءها وأرضها"(الإبراهيمي، 1997م، ج04، ص271).

يُلاحَظ على المعاني الظّاهرة التي جاء بها هذا الخطاب، أنّه دعاء للشّباب ليس إلّا، ولكنّه في معانيه الخفيّة خطاب تلميحي بامتياز، يهدف إلى إقناع الشّباب العربي المسلم بالذّود عن مواطن الإسلام واللّغة العربيّة.

03- اهتمام (الإبراهيمي) بالشّبّان الجزائريّين المسلمين:

لقد اهتمّ (الإبراهيمي) بالشّبّان الجزائريّين المسلمين بشيء من الخصوصيّة أكثر من اهتمامه بالشّبان العرب والمسلمين وهذا ليس غريبًا من شخصيّة جزائريّة إصلاحيّة مثل شخصيّته.

ولا ريب أنّ هذا الاهتمام راجع لظروف عدّة، تميّزت بها فترة الأربعينيّات والخمسينيّات من القرن الماضي، يمكن أن نلخّصها – حسب نظرنا– في ثلاث نقاط رئيسة هي:

1–محاولات طمس الاحتلال الفرنسي لهويّة المجتمع الجزائري المسلم عمومًا، ولمقوّمات الشّخصيّة الوطنيّة الجزائريّة لدَى الشّباب الجزائري المسلم خصوصًا، مقارنة بما كان يوفّره للشّباب الفرنسي من أبناء المعمّرين، والشبّان الجزائريّين المتعلّمين باللّغة الفرنسيّة والمثقّفين بثقافتها.

2–رحلة (الإبراهيمي) إلى المشرق العربي والإسلامي، جعلته يكتشف أحوال الشّباب العربي والمسلم في تلك المنطقة، من تطوّر –ولو نسبي في بعض البلدان– من النّاحيّة العلميّة والثقافيّة أوّلًا، ثم من النّاحية الاجتماعيّة والاقتصاديّة ثانيًا، ومقارنتها بأحوال الشّباب الجزائري المسلم؛ حيث تبيّن له أنّه شباب محروم من أدنى شروط الحياة ولهذا كثّف من اهتمامه به أيّما اهتمام، وذلك نابع من قناعة منه أنّ هذه الفئة من الأمّة الجزائريّة هي الفئة الوحيدة القادرة على إنقاذ حالها وحال أمّتها قاطبة إذا توفّرت فيها شروط معيّنة.

3- وتكمن النّقطة الثّالثة فيما عبَّر عنه الباحث (محمّد ناصر بوحجّام) بقوله: "المسؤوليّة التي وعاها الشّيخ البشير الإبراهيمي في داخله جسّدها في المحيط الخارجي، فجعلته يقترب من الشّباب ويخصّهم بعطفه ومحبّته وتوجيهاته وإرشاداته"(بوحجّام، 2017م، ص39).

ولهذا تنوّعت صور اهتمام (الإبراهيمي) عن الشّباب الجزائري المسلم في كثير من السّياقات التّواصليّة، كأن يوصِي بهم خيرًا بصفته رئيسًا لـ "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ."

مثل خطابه الموجَّه إلى المجلس الإداري للجمعيّة بمناسبة تجديده؛ حيث رأى أنّه لابدّ من توجيه بعض الوصايا والنّصائح والإرشادات، من أهمّها قوله الآتي :

"...وأوصيه بالشّباب فإنّهم ذخر الغد وأمل الأبد، ورأس مال هذه الأمّة، فليُلابِسهم وليغرس فيهم حبّ دِينهم ولغتهم ووطنهم وتاريخهم، وليُقَوِّ فيهم ملَكَة الاعتزاز بها، وليُبَسِّط في آمالهم الوطنيّة..."(الإبراهيمي، 1997م، ج02، ص445).

لقد ركّز (الإبراهيمي) في توجيه ذهن الموصَى إلى المقوّمات التي يمتلكها الشّباب، وما يمكن أن يقدّموه للأمّة الجزائريّة إلى درجة أنّه وصفهم فيها بـ"رأس مال هذه الأمّة"، ثمّ سرَدَ أهمّ المبادئ التي لابدّ أن تُغرَسَ في نفوسهم ألا وهي: "الدّين واللّغة، والوطن، والتّاريخ ."

ومن صور اهتمامات (الإبراهيمي) بالشّاب الجزائري المسلم، حديثه عن الانجازات التي نفّذتها "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين" ممثّلة في إحدى وسائلها الدّعويّة، والتي من أبرزها "جريدة البصائر" لسان حالها.

مثلما دلّ عليه خطابه الذي عرض من خلاله "التّقرير الأدبي" للجمعيّة في إحدى مناسبات تجديد مجلس إدارتها، والذي قال فيه: «ووقَفَت من الشّاب المسلم الجزائري موقف الأب المرشد النّاصح المشفق تدعوه إلى تعاليم دِينه وبيان لغته، ومعرفة تاريخه والمحافظة على ميراثه الجنسي وخصائصه وأخلاقه، وأن يفهم الحياة ويواجهها بحقائقها، وأن يجمع شمله على الشّبيبة وحبّ الوطن ونفعه، وأن يزاحم الأجنبي في علمه وعمله بالمنكب القوي، وأن لا يكون فارغًا في هذا الزّمان الملآن، ولا عابثًا في هذا العصر الجاد، وأن يكاثر شباب العالم علمًا بعلم وعمَلًا بعمل، وأن يتّجه إلى سَمت، ويعمل له في صمت [...]، وأما والله لو أنّ شبابنا كانوا على حظّ من فهم لغتهم، وكانوا يقرأون "البصائر" لما تفرّق لهم شمل، ولا ضلّ بهم سبيل ولتلاقوا على حبّ دينهم وهوى وطنهم»(الإبراهيمي، 1997م، ج02، ص439).

ركّز (الإبراهيمي) على ما قدّمته "جريدة البصائر" للشّاب الجزائري المسلم، وما سيحصل عليه من فوائد تنعكس على شخصيّته وعلى دينه ولغته ووحدة وطنه؛ إن هو عرف كيف يستفيد من المحتوى الذي تنشره وعمل به.

وفي بعض السّياقات التّواصليّة، يمكن أن يكون خطاب (الإبراهيمي) خطابًا تحذيريًّا؛ ليدلّ به على النّصح والتّحذير معًا وهو ما يكشفه لنا خطابه الذي وجّهه إلى مجموعة من الشّبّان الجزائريّين هاجروا إلى مصر طلبًا للعلم وعندما رأى (الإبراهيمي) أحوالهم المزرية التي آلوا إليها، وبعدما تبيّنت له مستوياتهم العلميّة، خرج بقناعة مفادها أنّهم غير مؤهَّلين لما هاجروا من أجله وبأنّهم يسيئون لسمعة الجزائر، أكثر من إفادتها.

ولهذا نصحهم وحذّرهم بقوله: «رأيت في القاهرة عددًا كثيرًا من شبّان الجزائر، معظمهم وصل إليها في هذه السَّنة والتي قبلها بوسائل كلّها أتعاب ومشاق [...]، وزارني كثير من

هؤلاء الطّلبة الجزائريّين يطلبون الإعانة الماليّة منّي أو من الأزهر بواسطتي وسألتهم وتقصّيت، فسمعت من أقوالهم وعلمت من مظاهرهم ما يحزن ويؤسف [...]، فحملتني الشّفقة عليهم وعلى سمعة الجزائر على أن أكتب هذه الكلمة محذِّرًا من لم يقع، لكيلا يقع [...]، أمّا أن يفارق الشّاب الجزائري وطنه، وسِنُّه مرتفعة، وعقله فارغ من العلم وجيبه فارغ من المال، فهذه الحالة هي التي نحذِّر منها، وننصح من لم يقع أن لا يقع فيها.«...(الإبراهيمي: 1997م، ج04، ص250-252).

بدافع الشّفقة على الشّبّان الذين هاجروا إلى مصر من أجل طلب العلم ودفاعًا عن سمعة الجزائر، قدّم (الإبراهيمي) وصفًا دقيقًا للحال المزرية التي وصل إليها أولئك الشّباب، ثمّ حذّرهم ونصحهم في الآن ذاته بما يمتلكه من خبرة حول دوافع الهجرة من أجل طلب العلم، محدّدا المستوى العلمي الذي يستدعي الهجرة، إضافة إلى علمه بالأحوال الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي كانت تعيشها مصر مطلع خمسينيّات القرن الماضي.

وكأنّه يخاطبهم واحدًا تلو الآخر بقوله: "أيّها الشّاب الجزائري المتعلّم عليك أن تضع سمعة الجزائر فوق كل اعتبار، ولو كان طلبًا للعلم، وأن لا تكون شابًّا متهوّرًا، عليك بدراسة الأمور واتّخاذ الأسباب قبل الشّروع في أيّ عمل."

وكذلك ينوّع (الإبراهيمي) في طرحه للقضايا المتعلّقة بالشّباب الجزائري المسلم، كأن يعالج قضيّة اجتماعيّة تخصّهم وتخصّ وطنهم، مثل ما جاء في مقاله الموسوم بـ"الشّبّان والزّواج"، عندما خاطب من خلاله شباب الجزائر -إبّان الاحتلال الفرنسي- يدعوهم فيه إلى الزّواج بُغيَة تحقيق مجموعة من المنافع اقتضت ظروف الاحتلال التي يعيشها وطنهم تحقيقها؛ ولهذا ناداهم قائلًا:

"أيّها الشّبّان! إنّكم لا تخدمون وطنكم وأمّتكم بأشرف من أن تتزوّجوا، فيصبح لكم عِرضٌ تدافعون عنه وزوجات تحامون عنهنّ وأولاد يوسعون الآمال، هنالك تتدرّبون على المسؤوليّات، وتشعرون بها وتَعظُم الحياة في أعينكم وبذلك تزداد القوميّة قوّة في نفوسكم، إنّ الزّوجة والأولاد حبال تربط الوطني بوطنه، وتزيد في إيمانه وإنّ الإعراض عن الزّواج فرار من أعظم مسؤوليّة في الحياة، ولمن تُخدَمُ الأوطان؟ إذا لم يكن ذلك لحماية من على ظهرها من أولاد وحرم، ومن في بطنها من رفات ورمم قد كان أجدادكم العرب يضعون نساءهم وذراريهم خلف ظهورهم في ساعة اللّقاء لئلّا يفرّوا...وهذا هو الحفاظ"(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص296).

بدأ (الإبراهيمي) خطابه بنداء حصر من خلاله المعنيّين بهذا الخطاب- كلّ شابّ جزائري- ثمّ لفت انتباههم إلى ما سيقوله لاحقًا، وبإغرائهم عن طريق طرح مجموعة من الإخباريّات في صيغة نتائج أوّليّة ثم أتبعها بعد ذلك، بعقد مقابلة بين الشّاب الذي يُقبِلُ على الزّواج والشّاب الذي يُعرِضُ عنه إلى أن طرح استفهامًا جسّد مقصديّة خطابه بصفة كليّة؛ ولتصبح إجابته وما تبعها من تذكير تمهيدًا لنتيجة نهائيّة (إغرائيّة)، كُلُّ هذا بالاعتماد على معجم لغوي خاص يحمل ألفاظًا ذات دلالات شاعت في تلك الفترة - الأربعينيّات والخمسينيّات من القرن الماضي-؛ ألا وهي: "الأوطان، والأمّة، والشّرف والقوميّة...إلخ"، وهذا ما يحاول أن يوضّحه المخطّط التّالي(مطروش، 2019م، ص150-151):

-المخطّط رقم 01-

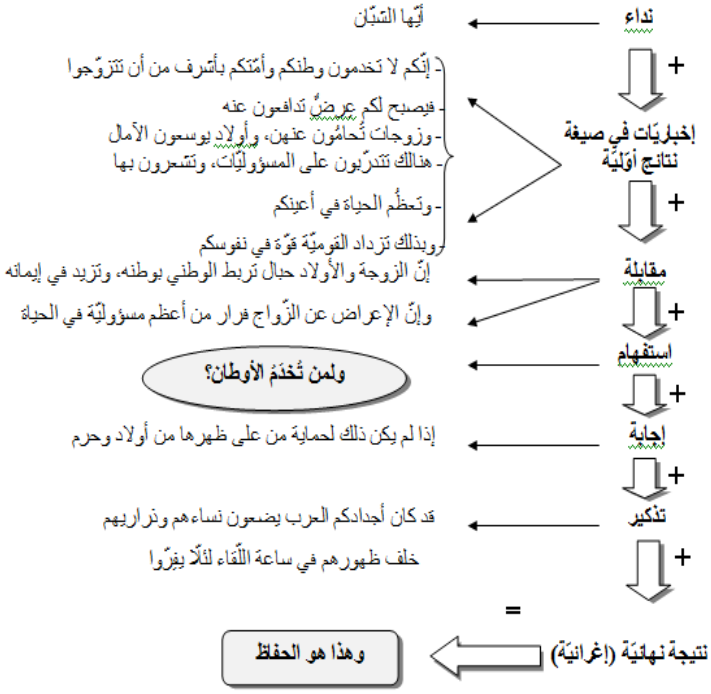

وتُعَدُّ سلسلة مقالاته الشّهيرة المعنونة بـ"الشّاب الجزائري كما تمثّله لي الخواطر"، إحدى خطاباته التي تصوَّر من خلالها مجموعة المقوّمات الشّخصيّة التي يرجو أن يتحلّى بها الشّاب الجزائري المسلم؛ ولهذا دائمًا ما ضمّنها صيغة "أتمثّله" .

وتكشف لنا هذه الفقرة من مقالته الأولى جزءًا مهمّا من تلك التّصوّرات، عند قوله عن الشّاب الجزائري المسلم:

"أتمثّله متساميًا إلى معالي الحياة، عربيد الشّباب في طلبها.[...]

أتمثّله مقدامًا على العظائم في غير تهوّر، مِحجَامًا عن الصّغائر في غير جبن، مُقَدِّرًا موقع الرِّجل قبل الخَطو، جاعلًا أوّل الفكر آخر العمل.[...]

أتمثّله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كلّ عربي أخًا له أخوّة الدّم، وكلّ مسلم أخًا له أخوّة الدّين، وكلّ بَشَرٍ أخًا له أخوّة الإنسانية، ثمّ يعطي لكلّ أخوّة حقّها فضلًا أو عدلًا.

أتمثّله حِلفَ عمل لا حليف بطالة، وجِلسَ معمل لا جِلسَ مقهى، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة لا رائد خيال.[...]

أتمثّله بَرًّا بالبداوة التي أخرجَت من أجداده أبطالًا، مزورًّا عن الحضارة التي (رمَته بقشورها) فأرخَت أعصابه، وأنَّثَت شمائله وخَنَّثَت طباعه، وقيّدَته بخيوط الوهم.[...]

أتمثّله مُقبِلًا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنّفع، إقبال النّحل على الأزهار والثّمار، لتصنع الشّهد والشّمع، مُقبِلًا على الارتزاق إقبال النّمل تَجِدُّ لتَجِدَ وتدّخر لتفتخر، ولا تبالي ما دامت دائبة أن ترجع مرّة منجحة ومرّة خائبة [...]، يا شباب الجزائر، هكذا كونوا!...أو لا تكونوا!...»(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص509-510).

يُعَدُّ الخطاب التّخييلي خطابًا ليست له دلالة تعيينيّة مباشرة (ديكرو وسشايفير: د ت، ص336)؛ ولهذا استند (الإبراهيمي) على ما يمتلكه من كفاية تخيّليّة ليُنتِجَ من خلالها خطابًا تخيّليًا يحمل في طيّاته بُعدًا تضامنيًّا مع أيّ شاب جزائري مسلم في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ويكمن هذا البُعد التّضامني في تجنّب (الإبراهيمي) توجيه تصوّراته بصفة مباشرة؛ أي بصيغة الأمر والنّهي وعدَل عنها إلى التّعبير بلفظة "أتمثّله"؛ ليتنازل بذلك عن سلطته

الاجتماعيّة ذات البُعد العلمي–بصفته عالما دينيًّا مصلحًا–، ويخاطب أولئك الشّباب بصفة الأب النّاصح لأولاده، والذي يحبّ لهم كل خير بالطّبع.

وإذا أردنا أن نترجم هذا الخطاب التّخيّلي إلى أفعال حقيقيّة يريد (الإبراهيمي) أن تكون طباعًا بارزة في تكوين شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم، نجدها كالآتي:

" -أتمثّله متساميًا إلى معالي الحياة، عربيد الشّباب في طلبها"؛ أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم أن تكون عاليَ الهمّة.

" -أتمثّله مقدامًا على العظائم في غير تهوّر، مِحجَامًا عن الصّغائر في غير جُبن، مُقَدِّرًا موقع الرِّجل قبل الخَطو جاعلًا أوّل الفكر آخر العمل"؛ أي عليك أن تكون مبادرًا إلى طلب معالي الأمور بكل شجاعة مبتعدًا عن التّهوّر في بعض المواقف ثابت الخُطَى عند اتّخاذ أيّ قرار.

" -أتمثّله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كلّ عربي أخًا له أخوّة الدّم، وكلّ مسلم أخًا له أخوّة الدِّين وكلّ بَشَرٍ أخًا له أخوّة الإنسانيّة، ثمّ يعطي لكلّ أخوّة حقّها فضلًا أو عدلًا"؛ أي عليك أن تثبت وجودك في هذه الحياة في إطار طموح لا حدود له، وعليك أيضًا أن تُآخِيَ كلّ عربي في إطار أخوّة النّسب والدّم، وأن تُآخِيَ كلّ مسلم في إطار أخوّة الإسلام، وأن تُآخِيَ كلّ إنسان في إطار الأخوّة الإنسانيّة مع إعطاء كلّ أخوّة حقّها بحسب الأولويّة .

" -أتمثّله حِلفَ عمل لا حليف بطالة، وجِلسَ معمل لا جِلسَ مقهى، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال ومرتاد حقيقة لا رائد خيال"؛ أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم أن تكون صاحب عمل وجِد لا صاحب بطالة وكسل، مكانك في المعامل لا في المقاهي،

وأن تكون صاحب أفعال لا صاحب أقوال فقط، وعليك أن تعيش الواقع كما هو، لا أن تعيش في أحلام وخيالات يستحيل الوصول إليها.

" -أتمثّله بَرًّا بالبداوة التي أخرجَت من أجداده أبطالًا، مزوَرًّا عن الحضارة التي (رمَته بقشورها) فأَرخَت أعصابه وأنَّثَت شمائله وخَنَّثَت طباعه، وقيّدَته بخيوط الوهم"؛ أي عليك أن لا تتنكّر لأصولك العربيّة وتستحي بها، وهي التي أنجبت أبطالًا هُم في الأصل أجدادك، وفي المقابل عليك أيضًا أن تأخذ من الحضارة الغربيّة ما ينفعك، لا أن تأخذ منها القشور فقط، بما يعود عليك بالمضرَّة في دينك ودنياك.

" -أتمثّله مُقبِلًا على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنّفع، إقبال النّحل على الأزهار والثّمار لتصنع الشّهد والشّمع مُقبِلًا على الارتزاق إقبال النّمل تَجِدُّ لتجِدَ وتدّخر لتَفتَر، ولا تبالي ما دامت دائبة أن ترجع مرّة منجحة ومرّة خائبة"؛ أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم، أن تطلب العلم والمعرفة في جِدٍّ وصبر وعليك أيضًا أن تسعى إلى طلب رزقك متوكّلًا على الله (□) غير آبِهٍ بما تحصّله في المستقبل، سواء كسبتَ أم لا.

وعلى العموم، يمكن أن نقرأ هذا الخطاب قراءة إجماليّة، هي أنّه خطاب يحمل في معانيه الظّاهرة بُعدًا تضامنيًّا مع متَلقٍّ مخصوص بذاته- أي كل شاب جزائري مسلم-، بينما حقّق في معانيه الخفيّة «مقصديّة إقناعيّة، وهي محاولة إقناع المرسل إليه بأن يسعى إلى العمل بتلك المقترحات المتخيَّلَة، ولو في جزء بسيط منها، تاركًا له الخيار في الأخذ بها، والدّليل على ذلك تذييله لخطابه التّخييلي، بعبارة: "يا شباب الجزائر، هكذا كونوا!...أو لا تكونوا!"»(مطروش، 2019م، ص110).

ومن أبرز التّصوّرات التي قدّمها (الإبراهيمي) في مقالته الثّانية، قوله عن الشّاب الجزائري المسلم:

«أتمثّله محمّديَ الشّمائل، غير صخَّاب ولا عيَّاب، ولا مغتاب ولا سبَّاب، عفًّا عن محارم الخَلق ومحارم الخالق مقصور اللّسان إلّا عن دعوة إلى الحق، أو صرخة في وجه الباطل، متجاوزًا عمَّا يكره من إخوانه لا تنطوي أحناؤه على بغض ولا ضغينة . »(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص511).

أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم، أن تتّخذ من سيرة النّبيّ (□) منهاجًا لحياتك، وتتّصف بخُلقه عليه الصّلاة والسّلام بأن تكون غاضًّا لصوتك، غير عيَّاب ولا مغتاب وسبّاب، وأن تعفَّ عن محارم الخَلق، وأن ترعى حدود الله (□) في كل أمر.

وكذلك تكشف الفقرة الخطابيّة التالية، تصوّرات أخرى يطمح (الإبراهيمي) إلى أن تكون مقوّمات بارزة في تكوين شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم، وهي قوله:

«أتمثّله متقلّبًا في الطّاهرين والطّاهرات، ارتضع أفاويق الإصلاح صبيًّا، وزُرَّت غَلائله عليه يافعًا، فنبتت في حجره ونبتت قوادمه في وكره، ورفرفت أجنحته في جوّه، لم يمسسه زيغ العقيدة، ولا غشيت عقله سُحب الخرافات، بل وجد المنهج واضحًا فمشى على سوائه، والأعلام منصوبة فسار على هداها واللّواء معقودًا فأوَى إلى ظلّه، والطّريق مُعبَّدا فخطَا آمنًا من العثار فما بلغ مبلغ الرّجال إلّا وهو صحيح العقد في الدّين متين الاتّصال بالله، مملوء القلب بالخوف منه، خاوي الجوامح من الخوف من المخلوق قويّ الإيمان بالحياة، صحيح النّظر في حقائقها، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها، ذلِق اللّسان في المطالبة بها، ناهض الحُجَّة في الخصومة لأجلها يأبى أن يكون حظّه منها الأخس الأوكس أمن بعقله وفكره أن يُضَلَّلَ في الحياة كما أمن بهما أن يُضَلَّلَ في الدّين...»(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص511).

إذا أردنا أن نكتشف المعاني الخفيّة التي تضمّنتها هذه الفقرة الخطابيّة – على طولها– نجدها تقول الآتي:

" -أتمثّله متقلّبًا في الطّاهرين والطّاهرات، ارتضع أفاويق الإصلاح صبيًّا، وزُرَّت غلائله عليه يافعًا..." أي أرجو أن ينشأ الشّاب الجزائري المسلم على التّقوى وإصلاح نفسه بصفة دوريّة.

" -لم يمسسه زيغ العقيدة، ولا غشيت عقله سُحب الخرافات، بل وجد المنهج واضحًا فمشى على سوائه..."؛ أي أرجو أن ينشأ الشّاب الجزائري المسلم على منهج العقيدة الصّحيحة، وليس على عقيدة الخرافات والبدع.

..." -فما بلغ مبلغ الرّجال إلّا وهو صحيح العقد في الدّين متين الاتّصال بالله، مملوء القلب بالخوف منه خاوي الجوامح من الخوف من المخلوق"؛ أي أُأَكِّدُ له أن يشنأ على منهج العقيدة الصّحيحة، وأن يكون دائم الاتّصال بالله (□) والخوف منه، وأن لا يخاف من المخلوق مهما كانت صفته ومكانته في هذه الحياة.

..." -قويّ الإيمان بالحياة، صحيح النّظر في حقائقها، ثابت العزيمة في المزاحمة عليها، ذلِق اللّسان في المطالبة بها ناهض الحُجَّة في الخصومة لأجلها، يأبى أن يكون حظّه منها الأخس الأوكس، أمن بعقله وفكره أن يُضَلَّلَ في الحياة كما أمن بهما أن يُضَلَّلَ في الدّين..."؛ أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم أن تتمسّك بالحياة واعيًا بحقائقها، ثابت الخُطَى في طلبها بلسان مهذَّب ومستندًا إلى الحُجَج في الدّفاع عن نفسك أمام خصومك إن اضطررت إلى ذلك، كما يجب عليك أيضًا أن تكون ساعيًا إلى معالي الأمور في هذه الحياة، مبتعدًا عن صغائرها في إطار الإيمان بقدراتك العقليّة ومحترزًا من أن تُضَلَّلَ آراؤك الفكريّة كما تحترز لدينك أن يُضَلَّل.

وفي المقالة الثّالثة، أضاف (الإبراهيمي) مجموعة أخرى من المقوّمات المهمّة التي يمكن أن تسهم في تكوين شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم، مثلما جاء في قوله:

«أتمثّله مُجتَمِعَ الأشدّ على طراوة العُود، بعيد المستمرّ على معيّة الشّباب، يحمل ما حُمِّلَ من خير لأنّ يدَ الإسلام طبَعَته على الخير ولا يحمل ما حُمِّل من شرّ لأنّ طبيعة الإسلام تأبى عليه الشّر .[...]

أتمثّله مُجتَلًى للخلال العربيّة التي هي بواكير ثمار الفطرة في سلاستها وسلامتها، كأنّما هو منحدر لانصبابها، وقرارة لانسكابها وكأنّما خيط على وفاء السَّمَوْأَلِ وحَاجِبٍ، وأشرجَ على إيثار كَعبٍ وحَاتمٍ وخُتِمَ على حفاظ جَسَّاسٍ والحَارِثِ، وأُغلِقَ على عِزَّةِ عَوفٍ وعُروَةَ»(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص514).

أراد (الإبراهيمي) من الشّاب الجزائري المسلم، أن يقارب بين أسباب تحصيل القوّة مع الانطباع على اللّين والرّحمة، وأن يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشّر، ورأى أيضًا أنّه لابدَّ على الشّاب الجزائري المسلم أن يتحلّى بالأخلاق العربيّة التي خلّدها التّاريخ عن أسلافه، وهي: الوفاء، والكرَم، والحَمِيَّة، وعزَّة النّفس وكرامتها...

وفي الجزء الموالي من المقالة نفسها، توسّع (الإبراهيمي) في طرح تصوّراته، قائلا:

«أتمثّله مُتَرَقرِقَ البِشرِ إذا حُدِّث، مُتهلِّلَ الأَسِرَّة إذا حُدِّث، مقصور اللّسان عن اللّغو، قصير الخُطَى عن المحارم حتّى إذا امتدّت الأيدي إلى وطنه بالتَّخوّن، واستطالت الألسنة على دِينه بالزّراية والتّنقّص وتهافتت الأفهام على تاريخه بالقلب والتّزوير، وتسابق الغرباء إلى كرائمه باللَّصّ والتّدمير ثارَ وفارَ وجاء بالبرق والرّعد، والعاصفة والصّاعقة، وملأ الدّنيا فِعالًا وكان منه ما يكون من اللّيث إذا دِيسَ عرينه أو وُسِمَ بالهونِ عرنينه.

أتمثّله شديد الغَيرَة، حديد الطَيرَة، يغار لبنت جنسه أن تبُور وهو يملك القدرة على إحصانها، ويغار لماء شبابها أن يغُور، وهو يستطيع جعله فيّاضًا بالقوّة دافقًا بالحياة، ويغار على هواه وعواطفه أن تَستَأثِرَ بها السّلع الجليبة والسّحن السّليبة ويغار لعَينَيه أن تسترقهما الوجوه المطرّاة والأجسام المعرّاة.

يا شباب الجزائر، هكذا كونوا !...أو لا تكونوا»(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص514-515).

اعتمد (الإبراهيمي) في بناء خطابه التّخييلي على صيغة "أتمثّله"؛ ليوصل إلى كل شّاب جزائري بعض الوصايا والتّوجيهات من خلال المعاني الضّمنيّة التي جاءت بها الصّيغ الحَرفيَّة للخطاب، على شكل مقابلة فيما بينها فكلّ عبارة من هذا الخطاب، تحمل في طيّاتها وصيّة أو توجيهًا ضمنيًّا، وهذا ما يوضّحه المخطّط التّالي(مطروش، 2019م، ص177-178).

-المخطّط رقم 02-

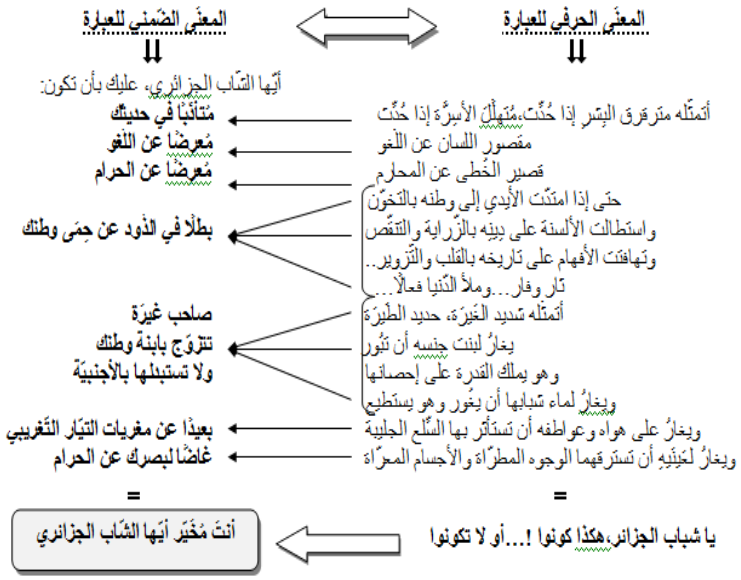

ومن تصوّرات مقوّمات بناء شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم التي جاءت بها المقالة الرّابعة (للإبراهيمي)، قوله التّالي:

«أتمثّله حنيفًا فيه بقايا جاهليّة...يدّخرها لميقاتها، ويوزّعها على أوقاتها، يردّ بها جهل الجاهلين، في زمن تفتّقت علومه عن جاهليّة ثانية شرّ من الجاهليّة الأولى.[...]

أتمثّله معتدل المزاج الخُلُقِي بين الميوعة والجمود، وبين النّسك والفتك.[...]

أتمثّله عفّ السّرائر، عفّ الظواهر، لو عُرِضَت له الرّذيلة في الماء ما شربه، وآثر الموت ظمأ على أن يَرِدَ أكدارها ولو عُرِضَت له في الهواء ما استنشقته، وآثر الموت اختناقًا على أن يتنسّم أقذارها.

أتمثّله جديدًا على الدّنيا، يرى من شرطها عليه أن يزيد فيها شيئًا جديدًا، مستفادًا فيها، يرى من الوفاء لها أن يكون ذلك الجديد مفيدًا.

أتمثّله مقدّما لدينه قبل وطنه، ولوطنه قبل شخصه، يرى الدّين جوهرًا، والوطن صَدَفًا، وهو غوّاص عليهما يصطادهما معًا ولكنّه يعرف الفرق بين القيمتين، فإن أخطأ في التّقدير خسر مرّتين.

أتمثّله واسع الآمال إلى حدّ الخيال، ولكنّه يزجيها بالأعمال إلى حدّ الكمال.[...]

أتمثّله مصاولًا لخصومه بالحِجَاج والإقناع، لا باللّجَاج والإقذاع، مرهبًا لأعدائه بالأعمال، لا بالأقوال.

أتمثّله بانيًا للوطنيّة على خمس، كما بُنِيَ الدّين قبلها على خمس: السّباب آفّة الشّباب، واليأس مفسدٌ للبأس، والآمال لا تدرَك بغير الأعمال، والخيال أوّله لذّة وآخره خبال، والأوطان لا تُخدَمُ باتّباع خطوات الشّيطان.

يا شباب الجزائر، هكذا كونوا ....أو لا تكونوا»(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص515-516).

إذا أردنا أن نترجم مجموعة التّصوّرات التي قدّمها (الإبراهيمي) في هذا الخطاب التّخييلي -الطّويل- لوجدنا أنّ كل فقرة منها عبارة عن توجيهات ونصائح، موجَّهَة إلى كل شاب جزائري مسلم، ففي قوله:

" -أتمثّله حنيفًا فيه بقايا جاهليّة...يدّخرها لميقاتها، ويوزّعها على أوقاتها، يردّ بها جهل الجاهلين، في زمن تفتّقت علومه عن جاهليّة ثانية شرّ من الجاهليّة الأولى."

أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم، أن تتمسّك بتعاليم دينك الحنيف، وأن تتّسم ببعض الأخلاق الحميدة التي تميّزت بها العرب في الجاهليّة: "كإقراء الضّيف، وإغاثة اللّهفان، ونصرة الضّعيف، والغَيرة على المحارم...إلخ ."

" -أتمثّله معتدل المزاج الخُلُقِي بين الميوعة والجمود، وبين النّسك والفتك"؛ أي عليك أن تكون وسطيًّا في تعاملك مع النّاس، لست بالإنسان الإمَّعَة، ولا بالإنسان المتسلِّط الجلف.

" -أتمثّله عفّ السّرائر، عفّ الظواهر، لو عُرِضَت له الرّذيلة في الماء ما شربه، وآثر الموت ظمأ على أن يَرِدَ أكدارها ولو عُرِضَت له في الهواء ما استنشقته، وآثر الموت اختناقًا على أن يتنسّم أقذارها"؛ أي عليك أن تتجنّب مواطن الفحش والرّذيلة وأن تحذر مخالطة أهلها.

" -أتمثّله جديدًا على الدّنيا، يرى من شرطها عليه أن يزيد فيها شيئًا جديدًا، مستفادًا فيها، يرى من الوفاء لها أن يكون ذلك الجديد مفيدًا."

أي عليك أن لا تكون مقلِّدًا في أمور دنياك؛ بل بادر بأن تكون من الذين يسهمون في تقديم كل ما هو جديد ومفيد.

" -أتمثّله مقدّما لدينه قبل وطنه، ولوطنه قبل شخصه، يرى الدّين جوهرًا، والوطن صَدَفًا، وهو غوّاص عليهما يصطادهما معًا ولكنّه يعرف الفرق بين القيمتين، فإن أخطأ في التّقدير خسر مرّتين."

أي عليك أيّها الشّاب الجزائري المسلم أن تتذكّر بأنّه لدينك ووطنك عليك حقٌّ قبل نفسك.

" -أتمثّله واسع الآمال إلى حدّ الخيال، ولكنّه يزجيها بالأعمال إلى حدّ الكمال"؛ أي عليك أن تكون صاحب همَّة وطالبًا لمعالي الأمور، مجسّدًا إيّاها بالأفعال لا بالخيال.

" -أتمثّله مصاولًا لخصومه بالحِجَاج والإقناع، لا باللّجَاج والإقذاع، مرهبًا لأعدائه بالأعمال، لا بالأقوال"؛ أي عليك أن تدافع عن نفسك أمام خصومك، بإقامة الدّليل والحُجَّة، وليس بكثرة الكلام والسّباب، متسلّحا بالأعمال لا بالأقوال.

" -أتمثّله بانيًا للوطنيّة على خمس، كما بُنِيَ الدِّين قبلها على خمس: السّباب آفّة الشّباب، واليأس مفسدٌ للبأس والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوّله لذّة وآخره خبال، والأوطان لا تُخدَمُ باتّباع خطوات الشّيطان."

إنّ قول (الإبراهيمي) عن الشّاب الجزائري المسلم:"أتمثّله بانيًا للوطنيّة على خمس، كما بُنِيَ الدّين قبلها على خمس" عبارة عن اقتباس من قول النبيّ» :(□) بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَى خَمسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَومِ رَمَضَانَ»(البخاري، 2002م، ص12).

ومن خلال هذا الاقتباس، أراد أن يُقنِعَ كلّ شاب جزائري مسلم بالابتعاد عن خمسة أمور، لها انعكاس سلبيّ على تحقيق وطنيّته، ألا وهي:

1- السّباب؛ لأنّه من آفات الشّباب.

2-اليأس؛ لأنّه مفسد ومعطّل للعزيمة والإرادة.

3-الآمال بدون أعمال.

4-الخيال بدون أعمال؛ لأنّه يبتدئ بلذّة مزوّرة وينتهي بندامة حقيقيّة.

5-اتّباع خطوات الشّيطان؛ لأنّها رأس كل مفسَدة.

ثمّ ذيّل (الإبراهيمي) خطابه بنداء كرّره عبر مقالاته الأربع، وهو قوله: "يا شباب الجزائر، هكذا كونوا....أو لا تكونوا" أي أنا ذَكّرتك – أيّها الشّاب الجزائري المسلم– بما يتوجَّب عليك تجاه دينك ولغتك ووطنك، وأنت حرّ فيما تختاره من منهج تسير عليه في هذه الحياة.

وإذا تمعّنّا في هذه المحاور الثّلاثة؛ أي "الدّين، واللّغة، والوطن"، نجدها أهم المحاور التي طبعت شخصيّة (الإبراهيمي) وهي أيضًا أبرز المحاور التي سخَّر لها حياته في سبيل الدّفاع عنها والدّعوة إليها.

وهذا ما أقرّ به نجله (أحمد طالب الإبراهيمي) عندما قال: «إذا أردتَ أن تختصر رسالة الإبراهيمي في كلمات فهذه الكلمات هي: الإسلام والعروبة والجزائر»(الإبراهيمي، 1997م، ج01، ص20).

وإذا دقّقنا أكثر في علاقة هذه المحاور الثّلاثة ببعضها البعض، نجد أنّها في الأصل عبارة عن شعار "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين": "الإسلام ديننا، والعربيّة لغتنا، والجزائر وطننا."

وفي المقابل، تجرّنا هذه التّصوّرات التي طرحها (الإبراهيمي) إلى الوقوف وقفة تمعّن معها والتّساؤل فيما كانت عبارة عن تصوّرات فقط، لمقوّمات بناء شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم؟ أو هي مطالب وشروط واضحة منه موجّهة إلى هذه الفئة من المجتمع الجزائري؟

أو كما تساءل الباحث (محمّد ناصر بوحجّام)، بقوله: «ألم تطلب الشّيخ البشير الإبراهيمي غاليًا ألم يبالغ في هذا الطّلب؟؟ ألم يكن سقفه عاليًا؟ ألا يمكن أن نجد من يقوم بالأمّة من هو دون هذه المواصفات؟ أتحتاج إلى كل هذه الشّروط لترتاح أو تطمئن

إلى من يبنيها، ويقوم بأمورها ويرعى شؤونها؟»(بوحجّام، 2017م، ص35). [كذَا في الأصل]؛ يقصد "ألم يطلب الشّيخ البشير الإبراهيمي غاليًا؟"

وسرعان ما قدّم الباحث ذاته إجابة عن سؤاله، نوافقه فيها الرّأي حينما قال: «ما طَلَبَه الإبراهيمي كان منطقيًّا بل هو ما يجب أن يكون، بهذا تَبرُزُ لنا قيمة الشّباب ودورها، وضرورتهما للرّفع بالأمّة إلى المعالي والعوالي»(بوحجّام، 2017م، ص37).

وأحيانًا ما يعدل (الإبراهيمي) عن استعمال لفظة "أتمثّله"، ويستعمل صيغة السّؤال والجواب ليمرّر تصوّراته التي يرى أنّها من أبرز مقوّمات تكوين شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم، كما جاء في ندائه التّالي: «يا شباب الجزائر!

ما قيمة الشّباب؟ وإن رَقَّت أنداؤه، وتجاوبت أصداؤه، وقيضت أوطاره وغلَا من بين أطوار العمر مقداره، وتناغت على أفنان الأيّام واللّيالي أطياره، وتنفّست عن مثل روح الرّبيع أزهاره، وطابت بين انتهاب اللّذّات واقتطاف المسرّات أصائله وأسحاره.

بل ما قيمة الكهولة؟ وإن استمسك بنيانها، واعتدل ميزانها، وفرّت عن التّجربة والمراس أسنانها ووضعت على قواعد الحكمة والأناة أركانها.

بل ما قيمة المشيب؟ وإن جلّله الوقار بملاءته، وطواه الاختبار في عباءته، وامتلأت من حكمة الدّهور وغرائب العصور حقائبه ووصلت بخيوط الشّمس لا بفتائل البُرس جماته وذوائبه.

ما قيمة ذلك كلّه؟ إذا لم تُنفَق دقائقه في تحصيل علم، ونصر حقيقة، ونشر لغة، ونفع أمّة، وخدمة وطن. يا شباب الجزائر، هكذا كونوا...أو لا تكونوا...»(الإبراهيمي، 1997م، ج03، ص511-512).

يظهر من هذه الفقرة –على طولها– أنّ (الإبراهيمي) بدأ خطابه بنداء وجّهه إلى شباب الجزائر؛ ليُثِيرَ به انتباههم، ثم قدّم تصوّراته لمقوّمات تكوين شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم بطرح استفهام ثم الإجابة عنه بلغة مسجوعة، يراد منها إقناع أولئك الشّباب باغتنام هذه المرحلة العمريّة المهمّة من حياة كلّ إنسان، وبخاصّة الإنسان المسلم الذي تنتظر منه أمّته الخير الكثير وبالأخص إذا كانت تعيش تحت طغيان الاحتلال.

ثمّ تدرّج (الإبراهيمي) في طرح تصوّراته على طريقة الأسئلة والأجوبة، مع تدرّجه في عرض المراحل العمريّة التي يمرّ بها أيّ إنسان، وفق سلّم حِجَاجِي إقناعي منتظم إلى أن وصل إلى نتيجة نهائيّة جسَّدت مقصديّة خطابه بصفة كليّة، وهي قوله:

"ما قيمة ذلك كلّه؟ إذا لم تُنفَق دقائقه في تحصيل علم، ونصر حقيقة، ونشر لغة، ونفع أمّة، وخدمة وطن"؛ أي ما فائدة حياتكم إذا لم تُسَخَّر لهذه الأمور: إمّا تحصيل علم، أو الوقوف مع الحق، أو نشر لغة...إلخ"، وفي الأخير ترك لهم الخيار في ذلك بقوله: "يا شباب الجزائر، هكذا كونوا ...أو لا تكونوا."...

04–خاتمة:

وفي الختام البحث يمكن القول: إنّ اهتمام (الإبراهيمي) بالشّباب الجزائري المسلم، وتصوّراته لمقومات بناء شخصية هذه الفئة، نابعة من قناعته التّامّة بما تمتلكه من مؤّهلات تشكّل الأساس الذي تبني عليه الأمّة الجزائريّة آمالها، ثمّ الأمّة العربيّة والإسلاميّة.

ومن أبرز النّتائج التي توصّلت إليها الورقة البحثيّة، هي أنّ تصوّر (الإبراهيمي) لمقوّمات بناء شخصيّة الشّاب الجزائري المسلم، يرتكز في أساسه على مجموعة من المحاور الكبرى، هي: التّمسّك بالدّين الإسلامي، والحفاظ على الوطن (الجزائر) والأخوّة

الإسلاميّة والعربيّة، والحفاظ على اللّغة العربيّة، وتاريخ أمّته والاتّصاف بالأخلاق الحميدة، وطلب العلم النّافع متّخذًا بأسبابه، وكذلك أن يكون صاحب طموح وهمّة.

وبناء على هذا، تقترح هذه الورقة البحثيّة بأن تُدرج مثل هذه الخطابات في النّصوص التّعليميّة لما لها من تأثير في تكوين شخصيّة المتعلّم.

Reference:

Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, (1463 AH/2002 AD), Sahih Al-Bukhari; 01st edition: Dar Ibn Kathir, Syria.

Asaad Al-Sahmarani, (13-14 Rabi' al-Thani 1426 AH corresponding to 22-23 May 2005 AD), Youth in the Thought of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, as part of the proceedings of the International Forum of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi "on the occasion of the fortieth anniversary of his death"; (Dr. i): Dar Al-Gharb Al-Islami, Lebanon.

Oswald Decroux and Jean-Marie Schaefer, (Dr.T), The New Encyclopedic Dictionary of Linguistics; published by: Munther Ayashi; (Dr. i): The Arab Cultural Center, (Dr. b).

Sufyan Matroush, (1441 AH/2019 AD), Strategies of Discourse according to Sheikh Al-Ibrahimi, "Selections from His Works: A Circulatory Approach" (unpublished), Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, University of Ghardaia, Algeria.

Samir Abish, (2015 AD), Components of the National Personality and the Educational Project of the Association of Algerian Muslim Scholars "1931-1956" (unpublished), Department of Social Sciences, Faculty of Humanities and Social Sciences, Mohamed Khider University (Biskra), Algeria.

Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, (1997 AD), The Works of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi; 01st edition: Dar al-Gharb al-Islami, Lebanon.

Muhammad bin Qasim Nasser Buhjam, (2017 AD), Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi and the Youth; 01st edition: International Printing and Services, Algeria.